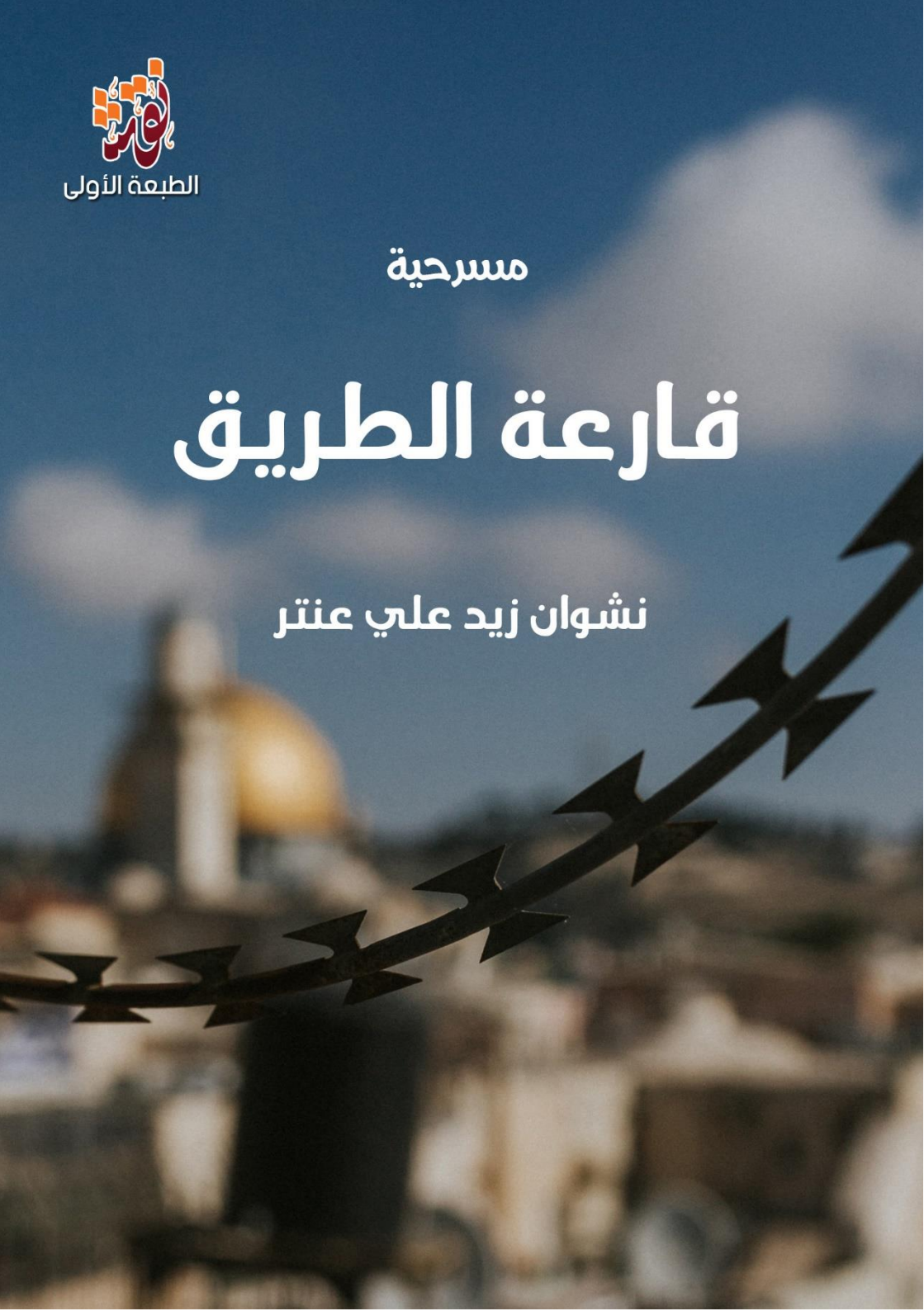

الطبعة الأولى

مسرحية

قارعة الطريق

نشوان زيد علي عنتر

مسرحية

قارعة الطريق

نشوان زيد علي عنتر

الطبعة الأولى

٢٠٢١م

جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر ©

المؤلف: نشوان زيد علي عنتر.

اسم الكتاب: قارعة الطريق.

نوع الكتاب: مسرحية.

الناشر: نقش للنشر

https://www.facebook.com/naqsh.pub

إيميل: naqsh.pub1@gmail.com

تصميم الغلاف: نقش للنشر.

مراجعة وتنقيح: د. حمزة عبد الله الضياني

الطبعة: الأولى ٢٠٢١م

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بصنعاء: ٣٣٢ للعام ٢٠٢١م

لا يسمح بنشر أجزاء هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني، ولا يجوز اقتصاص أي جزء منه بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية، أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

للتواصل مع المؤلف:

إيميل: nashwan.zaid@gmail.com

إخلاء مسؤولية:

الآراء المنشورة بأسماء كاتبيها لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار نقش، ولا تتحمل دار نقش أي مسؤولية مترتبة على محتوى ما يتم نشره.

الإهـــداء

إلى مثلي الأعلى؛ والدي العزيز..

إلى رفيقة دربي؛ زوجتي العزيزة..

الفـصـل الأول

المشهد الأول

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور نقطة تفتيش عسكرية إسرائيلية في إحدى شوارع نابلس الفلسطينية خلال الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٩م، تحتوي على حاجز أمنيّ ومقرّ مؤقت لأفراد دورياتها من أحد المنازل التي صادروها وأخرجوا أهلها منها، ومحاطة بسيارتين مصفحتين؛ حيث يخرج منها اثنان من الجنود الإسرائيليين الكسالى، أحدهما يُدعى ناحيم والآخر موشيه)

ناحيم (يستيقظ بتأوّهٍ كسل): لا أحد في الجوار أمامنا، يبدو أننا نهضنا في وقتٍ مبكر.

موشيه: لا تكن سخيفًا! لقد تأخر الوقت كثيرًا، إنها الساعة الثانية عشرة ظهرًا.. ألا تسمع أذان صلاة الظهر من هذا الجامع القريب؟!

ناحيم: هه! وماذا يعني؟!

موشيه: يعني أننا أكثرنا من الشرب البارحة، فلم نعد قادرين على التمييز بين الصباح والمساء.. ها ها ها ها ها..

موشيه: أنت محقّ، إذن دعنا ننَم قليلًا..

ناحيم: هيه! انهض قبل مجيء قائدنا إلينا، فإذا رآنا بهذا الحال فسيعاقبنا عقابًا شديدًا.

موشيه: فليفعل ما يحلو له، فلن يصنع لنا شيئًا، اطمئن.

ناحيم: أقول لك قائد سريتنا سيأتي لمعاقبتنا ولا تبالي بمجيئه؟!

موشيه (يتثاءب مجددًا): أجل؛ لا أبالي..

ناحيم: لماذا؟! أأنت قائد السرية أم هو؟ أم أنك أعلى رتبة منه ونحن لا ندري؟!

موشيه: بل أفضل من ذلك، أنا يهودي غربي؛ أي من (الإشكناز)، أما هو؛ فهو من اليهود الشرقيين (السفارديم)..

ناحيم: السفارديم! السفارديم مرّة واحدة؟! ها ها ها.. يا لك من رجلٍ مرحٍ يا موشيه! حتى عندما تثمل تثير السخرية..

موشيه: أنا لا أمزح، إنها الحقيقة..

ناحيم: أية حقيقة هذه؟! أننا يهود؟!

موشيه: بلى.

ناحيم: غير صحيح.. أنت تعلم وأنا أعلم بأننا لسنا يهودًا؛ بل مسيحيين (أرثوذكس) فررنا من بلدنا بلغاريا القابع تحت الحكم الشيوعي إلى إسرائيل بحثًا عن عمل، فأضحينا جنديين إسرائيليين يطاردان مجموعة من الأطفال العرب المشاغبين، هذا كلّ ما في الأمر.

موشيه: هذا كلّ ما في الأمر؟! يا حبيبي! وأسماؤنا العبرية؟ وغطاء نجمة داوود الديني الذي نضعه فوق رؤوسنا؟! ماذا تكون برأيك؟ للتسلية؟! إنها دلالة أكيدة على أننا يهود..

ناحيم: فرضوا هذه الأشياء علينا أثناء التحاقنا بالعمل يا ذكي..

(فجأةً يدخل قائد السرية إسحاق رحمون إلى الخشبة).. يا إلهي! لقد حضر القائد..

موشيه: أوه تبًا! اسمع، سأتصنّع النوم الآن، مفهوم؟

ناحيم: ليس هذا وقته معك يا موشيه.. (يراه يشخر فجأة).. موشيه! موشيه! استيقظ يا موشيه! (يقترب القائد إسحاق منهما، فيؤدي ناحيم التحية العسكرية)..

إسحاق (يرى موشيه نائمًا فيركله في قدمه): استيقظ أيها الجندي الثمل الكسول (لا يردّ).. ما به لا يستيقظ أيها الجندي ناحيم؟!

ناحيم: لقد ظلّ يحرس المكان بالأمس دون أن يغفل له جفنٌ يا سيدي.

إسحاق: هكذا إذن! وأنا أتساءل لمَ رائحة الخمر تفوح من شفتيه القبيحتين؟! آن الأوان لأن يستيقظ.. (يخرج إسحاق مسدسه أمام خوف ناحيم مما سيحدث فيضغط على الزناد ويطلق الرصاص في الهواء.. يلقي دويها الرعب في موشيه الذي استيقظ من نومه المزعوم

فورًا ويقف أمام قائده مؤديًا التحية العسكرية له وقدماه ترتجفان).. هذا جيّد.

موشيه: احترامي سيدي القائد!

إسحاق: احترامي سيدي القائد؟! هيه! ألم أحذركم من قبل بعدم النوم أثناء أداء الواجب المناط إليكم في نقطة التفتيش الأمنية هذه؟! سيّما بعدما صدرت الأوامر بتحويل نابلس إلى منطقة عسكرية، فلماذا لم تنفذا الأوامر؟ أم أنكم تتجاهلونها عمدًا؟

ناحيم: معاذ الله يا سيدي.. كلّ ما في الأمر أننا شعرنا بالنعاس فحسب دون قصدٍ منّا..

إسحاق: وهذه القنينة التي على سقف السيارة المصفحة خلفكما؟! (ينظران إليها بدهشة) ماذا تفعل إذن عندكما؟! للشرب؟ أم للزينة؟! تكلّما! (يحاولان الإجابة وهما في حالةِ تردُّدٍ تام).. لا أريد أعذارًا، تكلّما! (يصمتان جراء توبيخه العنيف لهما).. لا تريدان الكلام إذن؟! حسنًا، أحضراه لي فورًا (فأخذها منهما بالقوة ويقرف من رائحتها)..

يا إلهي! فودكا من النوع الرديء! هل جننتما؟! تظنان نفسيكما في إحدى النوادي الليلية الرخيصة بتلّ أبيب؟! أنتما جنديان نظاميان بجيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يُقهر والقائم بحماية الدولة العبرية من هجمات الإرهابيين العرب المتدثرين بعباءة حراكٍ سلميٍّ مزعومٍ اسمه انتفاضة الحجارة! كيف سيكون حالكما حينها لإحدى هجماتهم المتوحشة وأنتما نائمين وسكارى أيضًا؟!

موشيه (يهمس لزميله ناحيم الذي يحاول إسكاته): لا تبالغ كثيرًا في ردّة فعلك، فلن يصنعوا شيئًا، فهم في النهاية مجرد أطفالٍ صغارٍ لا أكثر..

إسحاق (يمسك بكتف موشيه الذي ارتعدت فرائصه لحظة رؤية عينيه الجاحظتين من شدّة الغضب): هؤلاء الأطفال الصغار الذين تشفق عليهم -أيها الغبي- سوف ينهالون عليك بالحجارة؛ صغيرةً كانت أم كبيرة، وستغطي الدماء الغزيرة أرجاء جسدك العاري بعد تجريدهم له من ثيابك الثقيلة كاملةً، فتصبح على إثر ذلك فريسةً سهلةً

للقطط الضالّة والكلاب المتشردة تنهش لحمك الهشّ.. هل فهمت؟!

(يضغط على رقبته موجهًا إياه بالقرب من وجهه)..

موشيه (مرعوبًا): فـ.. فهمت يا سيدي! هذه آخر مرة نجرؤ على إهمال عملنا..

إسحاق: أوّل مرة، وآخر مرّة! لا أريد أن يتكرر مثل هذا الشيء الأحمق مجددًا، مفهوم؟!

ناحيم وموشيه (بصوتٍ واحد): أمرك يا سيدي القائد..

إسحاق: احملا سلاحيكما وانتشرا في أرجاء الحاجز العسكري ريثما أجري اتصالًا بالقيادة العسكرية العليا للضفة الغربية.. (يتأمل فجأةً امرأة شابة من سكان نابلس ترتدي الزي الشعبي الفلسطيني اسمها سلمى، تحمل بين يديها سلّةً مربعةً مليئةً بأنواع الخضروات).. ما هذا؟ من هذه المرأة؟ (يجيب ناحيم وموشيه بالنفي).. من سمحَ لها بالدخول؟!

(تضع السلّة على الأرض على مقربةٍ من الحاجز)

إسحاق: هيييه! أنتِ!

سلمى: من؟! أنا؟!

إسحاق: ماذا تفعلين يا.. ما اسمك أولًا؟!

سلمى: اسمي سلمى الحياني يا سيدي القائد.

إسحاق: ماذا تفعلين عندكِ يا سلمى؟!

سلمى: كما ترى يا سيدي، أبيع الخضروات المزروعة في بيتي هنا كالعادة..

إسحاق: ألا تعرفين أنه ممنوعٌ الوقوف والبيع في هذا المكان؟!

سلمى: ممنوع! لماذا؟!

إسحاق: لأنها منطقة عسكرية.

سلمى: منطقة عسكرية! منذ متى؟!

إسحاق: منذ الأمس.. أصدرنا قرارًا بتحويل مدينتك إلى منطقة عسكرية من الدخول والخروج منها.

سلمى: مدينتي مغلقة عسكريًا! لماذا؟!

إسحاق: يووووه.. يا لها من غبية! اشرح لها يا ناحيم الأمر بطريقتك علّها تفهم.

ناحيم: حاضر يا سيدي (يهجم وزميله على بضاعتها بوحشيةٍ بأعقاب بنادقهم الرشاشة)

سلمى (تصرخ): يا إلهي! ما الذي فعلتماه ببضاعتي أيها الحمقى؟!

موشيه: نشرحِ لك ماذا يعني أن مدينتك أضحت منطقة عسكرية مغلقة أيتها البلهاء..

سلمى (تصرخ عليهما): أنت محق، فأنتم اعتبرتم أنفسكم لستم قادة المدينة فحسب، بل قادة البلد بأكملها الذي أضاعها أهلي وجيراني.. (تنظر إلى إسحاق بشزر).. ولكنك يجب أن تعلم أيها القائد أنت وغيرك؛ إذا كنتَ مالكًا لهذه المدينة، فأنا أيضًا مالكة لهذا المكان الذي يعّد مقرّ عملي ومصدر رزقي، ولن أسمح لأحدٍ -مهما علا شأنه بمن فيه أنت- أن يأخذه مني.. (تضع يدها على جيب ثوبها الأيمن وتبدأ بإخراجٍ شيء منه).. وهذا أول الغيث.. (تقذفهم فجأةً بحجرٍ متوسط

الحجم تربك تحركهم وتحطم عبرها زجاج إحدى نوافذ السيارة المجاورة لإسحاق الذي تفاداها ببراعةٍ، ثمّ تفر من أمامهم قبل أن يرفع موشيه وناحيم بندقيتهما لإطلاق الرصاص عليها فيمنعهما إسحاق)..

إسحاق: توقفا! لقد هربت، ولن تعود مجددًا..

ناحيم: لكنها قالت يا سيدي أنها ستعود وتنتقم، ولن تتخلى عن المكان..

إسحاق: ها ها ها! أيها الأحمق! وهل صدَّقتَ كلامها؟! (ينظر إلى الأفق).. إنها كما قالت مثل غيرها من الفلسطينيين ليس لديهم وفاء أو إخلاص لهذه الأرض، وكلامهم عن الوطن والدفاع عنه أو ممتلكاتهم جعجعة بلا طحين، ولا تصنع خبزًا من وهم.. والآن أسرع إلى الميكانيكي عبد الستار في ورشته أسفل الطريق ليصلح نافذة السيارة.. هيا! (ينطلق ناحيم إلى خارج الخشبة لتنفيذ الأمر)..

(تنزل الستارة)

المشهد الثاني

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور شديد القتامة مليء بالخرائط والمجسمات والملابس العسكرية، ومجموعة من الضباط القادة ومن بينهم إسحاق على الكراسي المتوازية في صفوفٍ داخل مقرّ القيادة العامة للجيش الإسرائيلي بالقدس الغربية)..

إسحاق (لزميله قائد المنطقة العسكرية برام الله دوري كوهين): ما الخطب؟! لمَ الجنرال شاؤول موفاز يطلبنا على وجه السرعة هكذا؟!

دوري: أنا مثلك تمامًا؛ لا علم لي بالسبب، لذا أنا في غايةِ التوتر والترقب..

إسحاق: هل الأمر خطير إلى هذا الحد؟!

دوري: ربما.. (يدخل الجنرال موفاز إلى الخشبة).. لقد أتى، انهض!
(ينهض الجميع أمامه مؤدين التحية العسكرية أمامه)..
شاؤول موفاز: شكرًا، اجلسوا! (يجلسون).. لقد جمعتكم اليوم لأمرٍ مهمٍّ جدًا، فأنتم تعلمون أن انتفاضة المخربين مازالت مستمرةً حتى هذه اللحظة، حتى بعد تحويل معظم قواعدها اللوجستية في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى مناطق عسكرية محكمة الإغلاق، فمازال المتظاهرون يملؤون الشوارع، ويقذفون بحجارة أكثر وأكبر من ذي قبل على جنودنا البواسل الذين يجرحون يوميًا بسببها.. ليس هذا فحسب؛ بل إنكم لم توقفوا وتيرة العمليات الإرهابية التي يرتكبها المجرمون المسلحون المتدثرون بعباءة انتفاضة الحجارة تلك ضد المدنيين الأبرياء من أبناء شعبنا العظيم الصامد في وجههم، وآخرها (يحمل صورة فوتوغرافية ملونة فيها جثث قتلى) مجزرة مستوطنة الجلزون البشعة التي راح ضحيتها تسعة من جنودنا وثلاث نساء وطفلين وأربعة رجال! (ينظر

إلى إسحاق).. لقد حدثت ضمن نطاق منطقتك العسكرية أيها القائد إسحاق يوم الأربعاء الماضي دون أن تحرّك وجنودك ساكنًا، أليس كذلك؟!

إسحاق: سيدي الجنرال، دعني أشرح لك الأمر..

شاؤول موفاز: تشرح لي ماذا؟! (يرمي بالصورة على الطاولة غاضبًا).. تشرح لي ماذا؟ هه! تشرح لي ماذا؟! مجموعة من الإرهابيين الصغار يقتحمون منطقتك بمنتهى السهولة ويرتكبون هذه المجزرة، وأنت لم تصنع لهم شيئًا! أين كان جنودك من كلّ هذا؟!

إسحاق: كانوا يتصدّونَ لجيشٍ كاملٍ من راشقي الحجارة علينا، ويطاردونهم من كافّة الجهات، فماذا عسانا نفعل أكثر من هذا؟! كما أننا طالبناكم عبر التقارير اليومية المرسلة إليكم مرارًا وتكرارًا بإمدادنا بفرقةٍ أو فرقتين من الشرطة السرّية حتى نمنع تسلل الإرهابيين إلينا عبر المتظاهرين أسوةً بزملائي دون أن يصلنا ردٌّ من حضرتكم بخصوص ذلك. (جلبة يثيرها زملاؤه في القاعة لحظة سماعهم ذلك).

دوري (مندهشًا): إسحاق! ما هذا الكلام؟!

شاؤول (يصرخ على الجميع): صمتًا! بماذا تفضلت سيد إسحاق؟! ما رأيك أن تريني كيف أقود جيش الدفاع الإسرائيلي؟!

إسحاق: أنا لم أقصد ذلك، كلّ ما في الأمر...

شاؤول: كلّ ما في الأمر أنك وزملاءك ستنفذون أوامري وتعليماتي الجديدة بشأن الانتفاضة دون قيدٍ أو شرطٍ، ودونما اعتراض.. مفهوم؟! (يومئ إسحاق برأسه موافقًا لكلامه بإشارةٍ من يده).. لا أريد أيّ تهاونٍ مع هذه الوحوش الصغيرة، اقمعوها واسحقوها بأقدامكم وأسلحتكم دون رحمةٍ أو شفقة، وبعيدًا عن وسائل الإعلام الغربية.. أريد القضاء عليهم وعلى انتفاضتهم الهمجية إلى الأبد.

(تنزل الستارة)

****

المشهد الثالث

المنظر الأول

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة مقرّ النقطة العسكرية في نابلس السالفة الذكر، ويدخل عليها فجأة الجنرال إسحاق غاضبًا، ومن ورائه الجنرال دوري كوهين يحاول تهدئته)..

دوري: هدئ من روعك..

إسحاق: لن أهدأ، لن أهدأ، ولن أقبل هذه الإهانة لي أبدًا أبدًا.. من يظن نفسه حقًا ذلك الإيراني الوضيع؟! هل قد أضحى قائدًا للجيش الإسرائيلي ونحن لا ندري حتى يتبجح علينا بإصداره الأوامر لنا؟! إنه لهذه اللحظة ما يزال مجرّد مساعد لرئيس الأركان فحسب!

دوري: أعرف ذلك جيدًا، وأنا أكرهه مثلك تمامًا، لكن ما حدث في الجلزون جعله يؤلب القيادة العسكرية في تلّ أبيب علينا.

إسحاق: وماذا عساي أن أفعل؟! ليس لديّ من يساعدني في قمع هؤلاء الإرهابيين.. طلبت منهم أن يمدوني بالشرطة السرّية والمزيد من الجنود لملاحقة المتسللين بين المتظاهرين بأسلحتهم الخفيفة، لكن لا حياة لمن تنادي..

دوري: ها أنت قلتها؛ لا حياة لمن تنادي، أيّ أننا يجب أن نصبر على ما يحدث لنا..

إسحاق: إلى متى يا دوري؟ إلى متى؟!

دوري: إلى أن نفكّر بحلٍّ لهذه المشكلة العويصة، أو ننتظر حدوث تغييرات في القيادة العسكرية خلال هذه الفترة العصيبة على الأقل.

إسحاق: اطمئن يا عزيزي، فلن يطرأ أي تغيير في المشهد العسكري لدولتنا التي ما يزال قادة جيشها الذي لا يقهر بنفس العقلية البالية وينتهجون نفس الأساليب المتخلفة في الحرب (يحدثه وهو يتأمل

مذهولًا دخول سلمى إلى الخشبة حاملةً في سلّتها كثيرًا من الخضروات والفواكه، وتجلس على مقربةٍ منه).. ما الذي أتى بهذه اللعينة إلى هنا بحقِّ الجحيم؟! هذا ما كان ينقصنا!

دوري: ما الأمر يا إسحاق؟ إلام تنظر؟! ثمّ من هذه المرأة؟

إسحاق: هه! لا تشغل بالك، وابقَ هُنا، مفهوم؟!

دوري: مفهوم!

إسحاق (متجهًا صوب سلمى وهي تضع بضاعتها بانتظامٍ منشدةً إحدى الأغاني المحلّية القروية، لكنها تتوقف عندما يركلها بقدمه فترفع نظرها بمنتهى الوجوم والحذر): ما الذي أتى بك؟ ألم أخبرك بعدم القدوم إلى هنا؟! ألم أخبرك بأنه ممنوع الوقوف هنا؟!

سلمى: لماذا؟!

إسحاق: هل تستخفين بي يا هذه؟ ألا تعلمين بأن هذا المكان نقطة عسكرية؟ أم أن كلام الليل يمحوه النهار؟!

سلمى: أعرف كلّ هذا، وأعرف أنكم أفسدتم بضاعتي وقمتُ برشقكم بالحجارة، ولكن ما لا تعرفه -أيها القائد المتغطرس- أن هذا المكان محلّ رزقي وعملي، وليس ملكًا لك وجيشك العديم الفائدة.

إسحاق (صارخًا في وجهها): ملكي أو ملك غيري، فهذا المكان ممنوع الوقوف فيه يعني ممنوع الوقوف فيه؛ لأنه منطقة عسكرية، يعني منطقة عسكرية.. مفهوم؟!

سلمى: لا داعي للصراخ، لقد فهمت، لكني لن أتزحزح عن مكاني قيد أنملة..

إسحاق: بل ستنهضين رغمًا عنك.. (يمسكها من شعرها وهي تتألم) يكفيني ما حدث لي اليوم، فانصرفي من هنا بكرامتكِ قبل أن تُهاني..

سلمى (تبكي): لن أذهب، ولن أرحل من هنا، هئ هئ..

إسحاق: هكذا إذن! سأريكِ.. ناحيم! موشيه! (يستجيبان لندائه بتكاسل) خُذا المرأة اللعينة إلى الزنزانة الخشبية داخل مقرّنا الآن،

ودون رحمةٍ أو شفقةٍ منكما.. هيا! (يمسكانها بقوة وعنف دون مبالاةٍ لصراخها ولشتائمها الموجهة لهم)..

دوري: إسحاق لا تتهور!

إسحاق: ولا كلمة يا دوري.. آن الأوان لأن نضع حدًّا لهؤلاء المجرمين الإرهابيين ونستأصل شافتهم حتى ولو كانوا من الأطفال والنساء خاصةً والمدنيين عامة..

(تنزل الستارة)

****

المنظر الثاني

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة غرفة شبه مظلمة واقعة داخل مبنى النقطة العسكرية تحت ضوءٍ خافت، وفيها ناحيم وموشيه يواصلان ركل وضرب سلمى المقيدة بعرض الكرسي الخشبي، وهي تبكي من الألم.. وبعد قليلٍ يدخل عليهما إسحاق فيتوقفان فورًا مؤديان التحية العسكرية أمامه)..

إسحاق: هه! ما الأخبار؟

ناحيم: كما ترى سيدي القائد، نفذنا أوامرك بحذافيرها.

موشيه: لقد لقنّاها درسًا لن تنساه.

إسحاق: عظيم، عظيم.. (يتجه صوب سلمى وقد ملأت الكدمات والدماء وجهها الأبيض، فيمسك بشعرها من الخلف ويتأملها بازدراء).. والآن يا عزيزتي، هل اتعظتِ وتعلّمتِ الدرس جيدا؟!

سلمى (تبصق في وجهه بكلّ قوتها): أنت الذي لم تتعلم من الدرس أيها الشقيّ الوغد.. هذه أرضي ومكان رزقي، لن أتخلّى عنه أبدًا ما حييت..

إسحاق (يترك شعرها بغضبٍ مكتوم): تبًا لكِ! ناحيم فكّ وثاق ساعدها الأيمن واربطها بسطح الطاولة.

ناحيم: أمرك سيدي (يربط ساعد سلمى المندهشة من ذلك على سطح الطاولة المجاورة لها)..

إسحاق: ناحيم! أحضِر لي القضيب المعدني الغليظ من هذا الرفّ.

ناحيم: أمرك سيدي (يخرج من الخشبة)..

سلمى: أيّ قضيب معدني تقصد؟!

إسحاق: ستعرفين يا عزيزتي.. (يدخل ناحيم إلى الخشبة حاملًا معه قضيبًا كبيرًا غليظًا مُصمتًا كالذي يستخدم في زخرفة الأواني النحاسية).. أحسنت! لنبدأ الآن!

سلمى (مرتعبةً): ماذا ستفعل؟! ولماذا تعمل هذا القضيب معك؟!

إسحاق (يتحسس ساعدها الأبيض الشبه عاري): أبدًا؛ سأستخدمه في عمل مساج لساعدك الجميل الذي يشع كضوء القمر، هذا كل ما في الأمر.. (يقبِّل ساعدها بلؤم).

سلمى (تحاول خائفةً الفكاك من قيدها دون جدوى): لا لا! إياك أن تفعل هذا، إياك! (تصرخ طالبةً النجدة).. ساعدوني! ساعدوني أرجوكم أيها الناس!

إسحاق: اصرخي كما تشائين، فلن ينجدك أحد مما سأفعله الآن (يهوي بقضيبه على ساعدها بكل قوته، فتطلق سلمى على إثر ذلك صرخةً مدوّيةً من الألمِ والبكاء)..

(تنزل الستارة)

****

المنظر الثالث

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة نفس الديكور بغرفة التحقيق، وفيها سلمى جالسة على الكرسي غائبةً عن الوعي، ويداها متدليتان إلى الأسفل، وآثار الطرق والدماء والجروح باديةً عليهما من جرّاء ضربات القضيب الذي بيد إسحاق الواقف أمامها مع ناحيم وموشيه)..

إسحاق: أما زالت غائبةً عن الوعي؟!

ناحيم: لقد مرت ساعتان وهي بهذا الوضع..

إسحاق: هذا يكفي! لقد استراحت بما فيه الكفاية.. صبَّ عليها الماء يا موشيه حتى تستفيق..

موشيه: أمرك سيدي! (يحمل الدلو ويقذف الماء الموجود فيه على وجه سلمى التي استفاقت مفزوعةً ببطء)..

سلمى: هه! أين أنا؟!

إسحاق (يقترب منها بمحاذاة الكرسي): أنتِ هُنا معي يا عزيزتي..

سلمى: أهذا أنت؟! ماذا تريد مني؟ أنا لم أصنع لك شيئًا..

إسحاق: لكنكِ لم تسمعي الكلام، ولم تنفذي أوامري القاضية بعدم مجيئكِ إلى هُنا، أليس كذلك؟!

سلمى: ولكني لم أرتكب خطأً يذكر يهدف إلى تقليل الاحترام لسيادتكم، كل ما في الأمر أنني أريد بيع خضرواتي في البسطة المجاورة لكم فقط!

إسحاق: وهذا يعتبر إساءةً لنا.

سلمى: إساءة لكم! كيف؟!

إسحاق: عندما تعصين أوامري بعدم التواجد هنا خلال هذه الانتفاضة الإرهابية يعتبر تحقيرًا وعدم احترامٍ لي أو..

سلمى: أو؟ أو ماذا؟!

إسحاق (يحاذي وجهه وجهها المرعوب): أو أنكِ تتعمدين عصيان الأوامر حتى تتجسسي علينا وتراقبي تحركاتنا لتنقليها لقادة الانتفاضة الإرهابيين (لا ترد سلمى، فيشدّها من شعرها، فتتألم باكية).. تكلمي! سلمى: غير صحيح.. غير صحيح..

إسحاق (يضغط على شعرها أعنف من ذي قبل، غير مبالٍ ببكائها المتواصل): بل صحيحٌ أيتها الكاذبة! (لم تتحمل سلمى هذا التوتر المفتعل حولها فاندفعت على أذنه اليُمنى وتقضمها بقسوةٍ إلى حد انبعاث الدماء منه، فيتدخل ناحيم وموشيه لإبعاده منها بالقوة وينهالا ضربًا عليها).. أي! (يتألم من أذنه ويلمسها وقد سقطت قطرات من الدم على يده).. أيتها اللعينة! سوف تدفعين الثمن.. توقفا! (يتوقف ناحيم وموشيه).. أنتِ أجبرتِني على ذلك.. ناحيم! موشيه! إنها لكما، افعلا بها ما شئتما، مارسا الجنس معها، لكن لا تقتلاها، مفهوم؟! (توقّفا مترددين).. لمَ صمتُّما؟! نفذا الأمر.. (بسرعةٍ ينطلقا نحوها،

يبدآن بنزع ثيابها وتقبيل صدرها وعنقها دون اكتراثٍ لصراخها وشتائمها)..

(تنزل الستارة)

****

المشهد الرابع

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة ديكور شقة عصرية في عمارة سكنية بتلّ أبيب تحت إضاءة خافتة.. يدخل إلى الخشبة تحت ظلّها بتشيبع والدة إسحاق وزميله دوري كوهين)..

بتشيبع (غاضبة): أنا لا أصدقك، أنت تتجنى عليه بهذا البهتان الكبير.

دوري: أنا لا أتجنى عليه يا خالة لا سمح الله! وإنما من خوفي وحرصي الشديد من تدهور حالته النفسية جرّاء الضغوط المتراكمة عليه خلال أداء مهامه العسكرية هناك، صدّقيني..

بتشيبع: وهل تريدني أن أصدّق بأن ولدي الطيب القلب الدمث الأخلاق يتصرّف مثل هذه التصرفات الدنيئة والسلوكيات المشينة؟!

يغتصب امرأةً ريفيةً ويحطم ذراعيها! ويغتصب طفلًا صغيرًا عاري الجسد مقيدًا بالأصفاد، ويجعل الكلاب تنهش عضوه الذكري؟! عقلي لا يستوعب ما قلته الآن!

دوري: ولا أنا أيضًا يا خالة، لكن ما رأيته أمامي في الأسبوع الماضي بنابلس جعلني أفقد صوابي.

بتشيبع: يا إلهي! لقد تغيّر ولدي كثيرًا، ولكن إلى الأسوأ.. ليس لأنك أخبرتني بذلك الآن فحسب، بل لأن وكالات الأنباء والإذاعات ومحطات التلفزة أضحى همها اليومي تصيد أخطائه تلك!

دوري: هل تقصدين الإعلام المحلي؟

بتشيبع: لا تكن سخيفًا يا دوري! إعلامنا الإسرائيلي لا يجرؤ على الحديث عن تجاوزات جيشنا العظيم ضدّ هؤلاء الإرهابيين العرب، فهو يخضع لرقابةٍ صارمةٍ من الحكومة وأجهزتها الأمنية.. أنا أتحدّث عن الإعلام الغربي الذي فجأةً انقلب ضدّنا بين ليلةٍ وضحاها،

وبالأخصّ ضد ولدي والمدن الواقعة تحت سيطرته العسكرية؛ نابلس، الجلزون، البلدة التحتة، وهلم جرّا..

دوري: لماذا؟!

بتشيبع: نفس السؤال سألته لنفسي مرارًا وتكرارًا قبل مجيئك، ولم أجد له تفسيرًا مقنعًا يشفي غليلي.. لماذا الإعلام الغربي يقف ضدنا هذه المرّة؟! ولماذا في هذا الوقت العصيب بالتحديد؟!

دوري (يسمع صوت قرع الباب): من هذا الذي يأتي إلينا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

بتشيبع: ربما يكون إسحاق، فلقد أخبرني بأنه سيأتي لزيارتي نهاية الأسبوع ليلًا.. سألقنه درسًا!

دوري: مهلًا يا خالة! تريّثي قليلًا.. (يحاول عبثًا منعها، فتخرج من الخشبة، ثمّ يدخل إسحاق بصحبة والدته ليجد دوري هنا).

إسحاق: دوري! ماذا تفعل هنا؟!

دوري: جئت لزيارة الخالة بتشيبع، هذا كلّ ما في الأمر.

إسحاق: زيارة فقط! هيه! ما الحكاية يا دوري؟! قُل الحقيقة!

بتشيبع: أنا سأخبرك الحقيقة (تصفعه بشدّةٍ وتسكت دوري).. ولا كلمة يا دوري!

إسحاق: أي! لِمَ تصفعينني؟ ما الذي فعلته لأستحقَّ الغضبَ منكِ؟!

بتشيبع: أبعدَ كلّ ما سمعته ورأيته عنك؛ لا تريدني أن أغضب أيها الولد العاق؟! أخبار جرائمك وخطاياك الجسيمة في نابلس تتصدر الصحف ووكالات الأنباء العالمية، ولا تريدني أن أغضب؟! ولدي الذي ربيته على الأخلاق والمثل الحميدة يرتكب مثل هذه السلوكيات المشينة؟! أنا لا أصدق!

إسحاق: أنا لستُ إنسانًا شريرًا كما يزعمون، أو كما أوحى لك دوري كذبًا بذلك (يمنع دوري من الردّ)، كلّ ما في الأمر أنني أقوم بواجبي العسكري فقط.

بتشيبع: واجبك العسكري؟! هيه! هل تمزح معي يا هذا؟! ألا تقرأ الأخبار المنتشرة حولك؟! تجرّد النساء والأطفال من ثيابهم، وتصبّ

الماء المثلج على أجسادهم العارية فترتجف من شدّة البرد، أو تحطم أذرعهم وسيقانهم بالقضبان الحديدية، أو تسلّط الكلاب المتوحشة ضدهم لتنهش أعضائهم التناسلية دون رحمة أو شفقة؟! ليس هذا فحسب؛ بل تأمر جنودك باغتصابهم وقتلهم إذا اقتضى الأمر؟! أهذا ما ربيتك عليه من قيمٍ وأخلاقٍ عُليا؟! لا تسرق، لا تقتل، لا تفتن، لا تكذب، لا تزني..

إسحاق: بلى يا أماه، ولكنكِ بالإضافة إلى ما سبق ربيتني على تطبيق هذه الأخلاق الحميدة والوصايا العشر مع أبناء ملّتنا فقط، وليس مع المسلمين والمسيحيين، أليس كذلك؟!

بتشيبع: دوري! دعنا وشأننا لو سمحت..

دوري: أمركِ يا خالة.. (بينما يتأهب دوري للخروج من الخشبة يوقفه إسحاق للحظة)..

إسحاق: لا تبتعد كثيرًا عن هُنا، أريد التحدث معك.

دوري: حسنًا (يخرج من الخشبة).

بتشيبع: ماذا تقصد بكلامك هذا؟ صحيحٌ أنني ربيتك على ما سبق لتطبقها مع أبناء ملّتنا فحسب، ولكني لم أحرضك على ارتكاب هذه الأفعال الشنيعة وأمام وسائل الإعلام الغربية..

إسحاق: ما حكايتك يا أماه؟! مُذ دخلت إلى المنزل وأنتِ تكررين نفس العبارة.. الإعلام الغربي.. الإعلام الغربي.. من هو حتى نخشاه بهذا الشكل؟!

بتشيبع: طبعًا يجب أن نخشاه ونحسب له ألف حساب؛ لأنه صادر من الغرب؛ أمريكا وأوروبا.

إسحاق (يضحك): حقًا! لماذا؟! هل أضحى الغرب ولي أمرنا؟!

بتشيبع: أجل؛ وليّ أمرنا، فلولاه لما وجدت إسرائيل على الخريطة..

إسحاق: لولا شعبنا اليهودي لما وجدت إسرائيل على الخريطة يا أماه، هذا هو عين الصواب، فبفضل تضحياتهم الجسام ومجهوداتهم العظيمة أسسوا أوّل وطن قوميّ لليهود في أرض الأجداد فلسطين عام ١٩٤٨م (يرى والدته تضحك).. ما الذي يضحكك يا أمي؟!

بتشيبع: أما زلت تردد هذا الهراء؟!

إسحاق: هراء! تقولين عن كلامي هراء؟!

بتشيبع: أجل؛ هراء.. من أخبرك أنّ شعب إسرائيل معظمهم من اليهود؟! غالبية الإسرائيليين من المسيحيين القادمين من الغرب، بمن فيهم جنودك في النقطة العسكرية بنابلس.. أما اليهود كنظرائهم المسلمين والسامريين والبهائيين فمجرد أقلّية في هذا البلد الذي تديره أربع مؤسسات حاكمة تُدار من مقراتها الرئيسية في أمريكا وأوروبا.. (يستغرب).. لا تندهش؛ إنها الحقيقة.. (تتناول مجموعة من الأوراق على المنضدة، وتقدمها لابنها).. هاك! هذه المستندات السريّة من جهاز الإحصاء المركزي الذي تولى رئاسته والدك الراحل تؤكد صحة كلامي.. تفضّل.. (يأخذ الأوراق ببطء، ويطّلع عليها بانتباهٍ شديدٍ جعله يجلس على الكنبة المجاورة من فرط الدهشة التي اعترته حينها).

(تنزل الستارة)

****

المشهد الخامس

(تفتح الستارة)

(يظهر على الخشبة مجموعة من الكراسي والطاولات الأنيقة لأحد المقاهي الحديثة بشارع شمبرلين في تلّ أبيب، يجلس عليها مجموعة من الرجال والنساء؛ بينهم إسحاق الذي لا يكفّ عن شرب البيرة أمام صديقه دوري وهو يحاول إيقافه عن الشرب).

دوري (يمسك يده الممسكة بالقنينة): يكفي هذا يا إسحاق!

إسحاق (يبعد يده عن ذراع صديقه بغضب): دعني! هذا ليس من شأنِك.. (يصب البيرة المتبقية من القنينة إلى الكأس).

دوري: بل من شأني، أنت صديق طفولتي قبل انضمام كلينا إلى الجيش، ولا يرضيني أن تكون بهذه الحال..

إسحاق: أنا راضٍ بشرب الخمر، فهو يجعلني سعيدًا (يتجشأ).

دوري: هذا الحال يرضيك؟! منذ أن أتيت إلى هنا قادمًا من منزلك وأنت لم تتوقف عن الشرب، لقد استنفذت ثلاثة قنانٍ من الخمر بأكملها دفعةً واحدةً، وهذه هي الكأس العشرون، ومع ذلك ما زلت تطلب المزيد! ستدمر صحتك هكذا..

إسحاق (يتجرّع كأسًا آخر من الخمر): لا يهمّ.

دوري: لا يهم؟!

إسحاق: أجل؛ لا يهمّ (يصرخ غاضبًا، ويضرب الطاولة بعنف عبر قدحه الفارغ).. فلتذهب صحتي إلى الجحيم، ولتذهب أنت وأمي وغيركم من أبناء هذا الشعب اللعين إلى الجحيم، وجيشنا الذي لا يقهر عديم الفائدة إلى الجحيم، ودولة إسرائيل إلى الجحيم.. (يلتفت الحاضرون في المقهى نحوه مندهشين مترقبين بخروف) ما بكم؟! لمَ تنظرون إليّ هكذا؟! هل خفتم من كلامي؟ هل جرح مشاعركم الميتة أصلًا؟! أم أنكم خائفون من المخابرات وأجهزتها البوليسية ان تعتقلكم وتذيقكم ألوان العذاب البشعة رغم أنكم تعملون لحسابها

وتتجسسون على زملائكم وأصدقائكم وأقربائكم بغية إرضائها؟! هيا، اذهبوا وأخبروهم! لم يعُد يهمّني شيء.. ماذا تنتظرون؟ هيا! (يرميهم بالشراب، فينهضون مفزوعين).. هيا! (ثم يرميهم بالكؤوس فيفرون من المقهى).. هيا! (يحاول النادل إيقافه، فيوجه إسحاق له لكمة دون وعيٍ منه في رأسه ليسقط على إثرها مغشيًا عليه).. هيا! (فيوقفه دوري).. هيييييا!!

دوري: كفى يا إسحاق، كفى!

إسحاق: دعني يا دوري، دعني!

دوري: لن أدعك حتى تفيقَ من حالة السُّكر الذي أنت فيها..

إسحاق: دعني فحسب.. (يفلت منه بصعوبة) اتركني وشأني!

دوري: ماذا دهاك؟! في البدء أسرفت في الشراب، ثم قمت برشق الزبائن والنادل بالكؤوس الفارغة والمليئة بالخمر على حدٍّ سواء كما لو كنتَ في انتفاضة الحجارة الفلسطينية دون وعيٍ منك! لمَ كلّ هذا الغضب؟ لمَ؟!

إسحاق: لمَ كلّ هذا الغضب؟! تسألني لمَ كلّ هذا الغضب؟! هل أنت غبيّ؟ أم تتغابى عليّ؟! أم أنك تدَّعي عدم معرفتك بالحقيقة؟!

دوري: حقيقة! أية حقيقة؟!

إسحاق: الحقيقة المرّة التي تقول بأني أدّيت واجبي وضحّيت بنفسي من أجلِ شعبٍ حقيرٍ جلّه من اللصوص والقتلة..

دوري: ويحك يا إسحاق! ما الذي...

إسحاق: لا تقاطعني! (مشيرًا بإصبعه في حزم).. لا تقاطعني، ودعني أكمل كلامي وأفرغ ما في جعبتي من غضبٍ عارمٍ مدفونٍ في جسدي وعقلي ضدّهم وجرائمهم الشنيعة بحقنا وبحقّ غيرنا منذ سنواتٍ عدّة.. وهذا طبيعي؛ لأنني واحد ممن ارتكبوا هذه الجرائم للأسف.. أجل؛ الشعب الإسرائيلي شعب حقير، وجلّه من اللصوص والقتلة.. أتعرف أن معظمهم من المسيحيين الصهاينة؟! (يتفاجأ دوري).. أجل؛ من المسيحيين الأقحاح.. أما نحن اليهود؛ فلا صوت لنا، ولا رأي، مجرّد خدم أذلّاء لهم.. وأكبر دليلٍ على صحّة كلامي جنودي

الذين تحت إمرتي في منطقة نابلس العسكرية.. وما زاد الطين بلة؛ أنهم من حثالة المجتمع الغربي، أما مؤسسات دولتنا العظيمة الممتدّة - حسب زعمنا- من الفرات إلى النيل؛ العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، فهنّ مجرد فروع أصيلة للمؤسسات الأمّ في أمريكا التي تحركها وتخطط لها، وتضع قوانينها الخاصة وتعيّن موظفيها ومدراءها.. هل تصدق أن جيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهر كما نزعم يتم تعيين قادتهم من البنتاغون؟! هل تصدق ذلك؟!

دوري: كلام فارغ.. هل نسيت الانتخابات التشريعية الحرة؟! والكنيست الذي يحاسب الحكومات المتعاقبة على أخطائها بشدّةٍ وحزم؟!

إسحاق: ها ها ها! نسيت أن أخبرك -يا عزيزي- أن الكنيست هو أيضًا مؤسسة تابعة للكونغرس الأمريكي، تُدار من قبله، ويعيّن رئيسه سرًّا.. أمّا الانتخابات التي تزعم أنها حرة؛ فهي ليست حرة بتاتًا، فالمفوضية العليا للانتخابات عندنا، وبأمرٍ من حُكّام البلاد السرّيين

وتوصية من ولية نعمتهم أمريكا تقوم بتزوير قانوني للأصوات وترجح كفة أحد المرشحين حتى ولو كان خاسرًا فيها؛ إرضاءً للأخيرة الراغبة في وصوله إلى الحكم..

دوري (يصرخ): ماذا دهاك يا إسحاق؟! أما زلت تصدّق هذا الهراء؟! لم يبق سوى أن تقول أن بلادنا إسرائيل ولاية أمريكية؟!

إسحاق: ها أنت قلتها! إسرائيل ولاية أمريكية بامتياز، وإن حكاية وطن قومي لليهود في أرض الميعاد فلسطين ما هي إلا أكذوبة لفقها لنا الأوروبيون والأمريكيون السفلة كي نعطيهم المبرر ليستولوا عليها وتبقى بحوزتهم إلى الأبد، وإلا بالله عليك هل هم بمنتهى السذاجة والحمق حتى يسلموا بلادًا مقدسةً بالنسبةِ لهم وديانتهم المسيحية لأتباع ديانةٍ أُخرى؟! فكِّر يا رجل! (يخرج دوري من الخشبة يائسًا منه، فتدخل على إثره سلمى إلى الخشبة وتراه يشرب).

سلمى: الآن أدركتَ الحقيقة؟!

إسحاق (يتفاجأ بوجودها، ويوقع الكأس، ويتوقّف عن الشرب فورًا): أنتِ؟! أما زلتِ تتعقبينني حتى بعد وفاتِك؟! ماذا تريدين مني؟ وكيف وصلتِ إلى هُنا؟ أين دوري؟!

سلمى: ليس هذا الموضوع.. سألتكَ سؤالًا مُحددًا؛ هل أدركتَ الحقيقة؟ حقيقة ما يجري في الأرض المحتلة بيننا وبينكم؟!

إسحاق (يجلس على الكرسيّ بهدوء): أجل؛ أدركتها متأخرًا..

سلمى: إذن لماذا؟!

إسحاق: لماذا ماذا يا سلمى؟

سلمى: لماذا تنكرونها عمدًا وتتمادون في قهرِكم لنا؟ لماذا؟!

إسحاق: لأنكم السبب..

سلمى: نحن؟! أما زلتم تحمّلوننا المسئولية مجددًا؟!

إسحاق: أجل؛ أنتم السبب، ليس لأنكم تشكّلون خطرًا يهدد حياتنا كما تظنين، بل لأنكم عديمو الانتماء لوطنكم فلسطين..

سلمى: كيف تجرؤ على قول هذا؟!

إسحاق: أجل؛ هذا صحيح، فلو كان لديكم ولاء لوطنكم فلسطين لما أضحيتم ألعوبة بيد الآخرين؛ سواء كانوا أشقاءكم المسلمين والعرب، أم أصدقاءكم، أم أعداءكم، فمنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى وحتى وقتنا الحاضر وأنتم تنيطون مهمة الدفاع عن بلادكم لغيركم.. في البدء الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى، ثم العرب بدولهم العديدة خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها، ولا سيّما جيرانكم السوريين واللبنانيين والأردنيين والمصريين، وبعد ذلك تركيا وإيران وإندونيسيا وماليزيا وباكستان وألبانيا... إلخ. أما أصدقاءكم من الروس والصينيين والكوبيين واليوغسلافيين فحدّثي ولا حرج، فهم يمدّونكم بالسلاح والعتاد والتنظير الأيديولوجي المُبالغ فيه، وما النتيجة؟! لم تحرروا شبرًا واحدًا ولو بسيطًا من أراضيكم المسلوبة من قبلنا عام ١٩٤٨م! ليس هذا فحسب؛ بل استولينا على الباقي المسلوب من قبل إخوانكم المسلمين والعرب عام ١٩٦٧م.

سلمى: تتحدث عن إخواننا المسلمين والعرب كما لو كانوا أعداءً ألدّاءَ لنا، وهم أساسًا جزء منّا ونحن جزء منهم، ودافع العديد منهم عن أرضنا بشجاعة منقطعة النظير ودون مقابل!

إسحاق (يضحك): حقًا؟! ومن هم يا ترى؟!

سلمى: صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من الصليبيين عام ١١٧٣م، وجمال عبد الناصر الذي انتصر على الجيوش الإسرائيلية والفرنسية والبريطانية مجتمعة خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦م، وجيراننا الأشاوس الذين سعوا إلى تحرير وطننا منكم أيها الأوغاد خلال حروب ١٩٤٨ و١٩٦٧ و١٩٧٣م.

إسحاق: وماذا بعد؟ ماذا بعد أيتها الساذجة الغبية؟! بعدما تاجروا بقضيّة شعبك طوال هذه السنين؟!

سلمى: عدتَ إلى الكذب مجددًا؟!

إسحاق: أنا لا أكذب، وعيناك الزيتونيتان تعلمان جيّدًا ما أقصد.. من ذكرتِهم قبل قليلٍ كانوا يتاجرون بقضيتكم النبيلة للاستهلاك المحلّي

والجماهيري، فصلاح الدين الأيوبي بعد تحريره القدس ومعظم أراضي فلسطين من قبضة الصليبيين حوّلها جميعها إلى إقطاعيات مملوكة لأبنائه وأقربائه بين ليلةٍ وضحاها، فأضحى سكّان القدس عبيدًا مملوكين لسادتهم الأيوبيين الذين باعوا مدينتهم للصليبيين عام ١٢٣٠م. أما عبد الناصر؛ فضمّ قطاع غزة بعد تحريرها من الإسرائيليين عام ١٩٥٧م وقضى على دولة فلسطين المستقلّة التي تشكّلت فيها عام ١٩٤٨م، وحلّ جيشها النظامي عام ١٩٥٦م. أما جيرانكم الأشاوس؛ فهم مجرّد أرانب مذعورة أمامنا ذئاب مفترسة ضدّكم، فسرعان ما باعوا الجمل بما حمل عامي ١٩٤٨م، و١٩٦٧م، وما حدث عام ١٩٧٣م مجرد حرب تحريك لا تحرير؛ لأنهم ببساطةٍ لا يريدون تحرير بلادكم من قبضتنا حبًّا فيكم أو عروبتكم أو إسلامكم، بل سعيًا رواء السيطرة على أجزاء من ترابكم الثمين والمقدّس بالنسبة لكم، فسوريا تريد أن تستولي على بحيرة طبريّا بأكملها، ولبنان يريد شمال الجليل، والأردن الذي هو أساسًا جزء من فلسطين أرضًا

وسكّانًا يريد الضفة الغربية والقدس، أما المصريون؛ يريدون جنوب فلسطين التي يسمونها أم الرشراش، أما اليمنيون والخليجيون وعلى رأسهم السعودية وأصدقاءكم الروس والصينيين؛ لا يريدون أن تتحرر بلادكم بتاتًا؛ لأن تحريرها يشكّل خطرًا على مصالحهم الحيوية.

سلمى: أنت كاذب.. كاذب.. كاذب..

إسحاق: لستُ كاذبًا، بل هي الحقيقة..

سلمى: أية حقيقة هذه؟! أما كفاكم كذبًا أيها اليهود؟! أخذتم أرضنا بالقوّة وبدعمٍ من الغرب لتؤسسوا عليه وطنكم المزعوم كما هو مذكور في كتابكم المقدّس!

إسحاق: ألم تسألي نفسك وقومك لماذا الغرب وعلى رأسهم أمريكا تتعاطف معنا ليعيدونا إلى فلسطين ونقيم وطننا القوميّ فيها؟! لأننا مثلكم -أيها الفلسطينيون- ألعوبةٌ بيد الآخرين يحرّكوننا كيفما شاءوا.

سلمى: تقصد أنكم لعبة بيد الغرب، ونحن لعبة بيد العرب والمسلمين يحرّكوننا كالروبوتات الجامدة المسلوبة الإرادة، تحطّم بعضها البعض استجابةً لرغبة سادتها الدنيئة؟!

إسحاق: أجل يا سلمى، ولهذا يجب على أبناء جلدتك الفلسطينيين إذا أرادوا تحرير وطنهم من الاحتلال الإسرائيلي؛ فعليهم أن يعتمدوا على أنفسهم، فلن يحمي عش العصفور غير صاحبه، وأن يتحرروا من سيطرة الغير لهم ومن ولاءاتهم القومية والدينية لصالح ولائهم الوطني لفلسطين.. لا تكونوا مثلنا نحن اليهود الذين ما زلنا نُساق من قبل الغرب الأبيض كقطيعٍ من الأبقار العمياء مسلوبة الإرادة لا تعرف ماذا تصنع وإلى أين تذهب!

سلمى: ولكننا ضِعاف، ولا نمتلك الأسلحة والجيوش الضخمة لمواجهة المحتلّ الإسرائيلي..

إسحاق: النملة بضآلة حجمها عضّت قدم الصيّاد رغم ضخامة جسمه، وأنقذت الحمامة من نيرانه القاتلة، فكيف بكم أنتم؟! بقيامكم

بهذه الانتفاضة العظيمة التي دكّت عرش هذه الدولة العفنة القذرة الغاصبة؛ عرفتم كيف تحررون وطنكم بالشكل الصحيح.. (يسقط على الأرض مضرّجًا بدمائه بعد إطلاق الرصاص عليه من قِبل مجهول متطرف، فتفزع سلمى وما تلبث أن تضعه على حجرها وتحاول خائفةً إيقاظه، لكن بعد قليل تهدأ وتستعيد روعها وتمسك بيد إسحاق الذي ينهض أمامها بعدما تحوّل إلى روح، فيدخل إلى الخشبة مجموعة من النساء الفلسطينيات وأطفال الحجارة والشباب بأزيائهم التقليدية، يحيطون بهما حاملين أغصان الزيتون فوق رؤوسهم، على أنغام أغنية فيروز "زهرة المدائن").

(تنزل الستارة)

(تنتهي المسرحية)

****

شخصيات المسرحية

إسحاق: قائد المنطقة العسكرية للجيش الإسرائيلي في نابلس.

سلمى: بائعة الخضار في نابلس.

دوري: صديق إسحاق.

شاؤول موفاز: قائد الجيش الإسرائيلي.

بتشيبع: والدة إسحاق.